قال ابن الأنباري : أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء شاهدا على تأنيث
قول الشاعر : أرمي عليها وهي فرع أجمع   وهي ثلاث أذرع وإصبع
فاستدل على تذكير ثلاث على تأنيث الأذرع قلت هذا الذي زعمه أبو العباس
مقتصرا عليه . هو مذهب الإمام سيبويه رحمه الله عليه . وعليه الأصمعي قال
ولا أعرف التذكير وحكى التذكير أقوام قال الزجاج والتذكير شاذ غير مختار
ونقل التذكير عن الفراء أيضا وهي لغة طوائف من عكل وقال الواسعة في ثمانية
والبيت الذي استدل به أبو العباس يحتمل أن يكون ضرورة على حد ثلاث شخوص
وجوز جماعة التذكير والتأنيث على حد سواء واستدل لهما بحديث أبي هريرة
فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة الحديث . قلت الحديث لا
دليل فيه للتذكير إذ اتصال التاء برفع غير واجب كما لا يخفى عمن له أدنى مسكة من
العربية وقد ذكر الزجاجي وغيره أن الذراع مما ورد بالتأنيث والتذكير ونظمه
أقوام فيما روي بالوجهين أيضا كما سيأتي وجمع الذراع أذرع وعليه اقتصر أقوام
منهم سيبويه وتبعه في الصحاح وذرعان بالضم حكاه في العباب والخلاصة
وغيرهما وقول وثبت الطاء كذا في الشرح أشار به إلى أن الطاء ثبت في عدد
الشبر لأنه مذكر والشبر بكسر الشين المعجمة وسكون الموحدة ما بين أعلى الإبهام
وأعلى الخنصر وجمعه أشبار ولا نعلم أحدا حكى فيه التأنيث فلعله ذكره استطرادا
مع الذراع وقوله في الذكر مراده في الكلام والله أعلم . وقد نظم العلامة الكبير
شيخ شيوخ أشياخنا أبو عبد الله محمد العربي الفاسي رحمه الله ما يذكر ويؤنث وما
فيه الوجهان من الأعضاء على ما حرره الزجاجي في الجمل في أبيات أجاد فيها ما
شاء فقال ـــــ

إن من الأعضاء ما يذكر   وعكسه وما به يخير
فالأول الرأس جبين منخر   أنف معا ثغر فم وظفر
وذقن وناجذ ناب وخد   باع وشبر ثدي البطن فقد
والثاني عين أذن عضد   ثم يمين وشمال كبد
فخذ وساق قدم وإصبع   كف ورجل عجز وضلع

قب

قلب لهاة عقب سن ويد   وكرش وورك ثم العضد
والثالث الذي به جريان   المتن والإبط مع اللسان
وعنق وعاتق ذراع   الضرس والقفا بلا نزاع
هذا الذي في جمل الزجاج   طريقة واضحة المنهاج

وجمع العلامة الدراكة أبو محمد عبد الواحد الونشريسي ما ورد بالوجهين في
بيتين أجاد فيهما كل الإجادة فقال ـــــ

أنث وذكر لسانا عاتقا عجزا   إبطا ذراعا وإبطا ما قفا ومعا
والكعب والضرس والذفرى وزد عنقا   متنا وروحا ونفسا والكراع معا

وجمع ذلك بعضهم مع إطناب وزيادات حشوية دالة على عدم اقتداره وأن نبه
على مذهب سيبويه في الذراع فقال ـــــ

وهذي ثمان جاءت عد تلط   تؤنث أحيانا وحينا تذكر
لسان المعى والعنق والإبط والقفا   وعاتقه والمتن والضرس يذكر
وعند ذراع لهم ثم حائل   فأنث وذكر إنه في التخير
كذا كل نحوي حكى في كتابه   سوى سيبويه فهو عنهم مؤخر
يرى أن تأنيث الذراع هو الذي   أتى وهو للتذكير في ذاك منكر

كما نظم بعضهم ما التزموا تذكيره أيضا في قوله

يا سائلا عما يذكر في الفتى   لا غير عنه من صادق لك يخبر
رأس الفتى وجبينه ومعاؤه   والثغر منه وأنفه والمنخر
والبطن والفم ثم ظفر بعده   ناب وخد بالحيا معصفر
والثدي والشبر الحديد وناجذ   والباع والذقن الذي لا ينكر
هي هذي الجوارح لا تؤنث إنما   فيه للاحظ إذا ما تذكر

قلت اقتصار هذا الناظم على في المعى على التذكير هو تابع فيه للزجاجي في
جمله والذي عند الجمهور أنه يذكر ويؤنث كما في بيت الونشريسي نعم في المصباح
أن تذكيره أكثر من تأنيثه وهو بفتح الميم كعلى وبكسرها كإلى وهو المصران
وينبغي أن يقرأ في بيتي الونشريسي بالفتح ليتم الجناس ويسلم من السناد والقب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)